قصة حب في :

رسالة ...

بقلم : صالح جواد الطعمة

- « قلت لصاحبي : ألا تزال تدعو الى النيل ، وتتغنى بمثاليتك الجوفاء في هواك . وهذا الشباب « الواعي » أما تراه لا يعرف الهوى إلا ملهاة يتسلى بها زمناً قصيراً ، في متعة وانتشاء ؟ ! فأجاب : خذ هاتين الرسالتين لتجد فيهما بقايا قلوب غمرها النيل والاخلاص والحب الرفيع ، والتغني بغد سعيد ، ليس للكدر والشقاء اليه من سبيل — وما أحراك أن تذيعها ، ليأخذ منها درساً ، أولئك الاغرار الذين يريدون من الحب تسلية يقتلون بها اوقاتهم ، وهم بعد ذلك لا يهمهم نيل ، او يعنيهم مصير !

ثم تركني لأقرأ :

الرسالة الاولى :

إذنك يا عذراء في التعبير عما يضمه قلبي نحوك ، من مشاعر وعواطف ، قد لا ترى منك سوى الاهمال ، وقد تنظرين إليها ، بعينيك الحبيبتين ، نظرات ملؤها الرفق والحنان ، كما عهدتك تجودين بها علي ، منذ أن كان لي شرف التعرف عليك !

ومن يدري ؟! فلعل هاته العواطف والمشاعر لا تنال إهمالك فقط ، بل تسخطين علي . . فاسخطي ، يا عذراء ، فانا لا أبدا لك أن من العدل أن تلقميني سخطك العادل ، ان كان في كتابي هذا ، ما لا يروق لك ، ويحظى برضاك !

واسمحي لي أن أتصور نفسي بين هذه الهواجس ، لانني وجدتك مرة غير مطمئنة إلي ، ولم تكوني آنذاك إلا على حق في عدم الاطمئنان لانه بات من الصعب جداً علينا أن نفرق بين أدعياء الفضيلة ودعاتها ، وبين المتظاهرين بالنبل ، في هواهم ، وبين النبلاء .

وهنا سر مأساتنا ومشاكلنا . . أننا لا نستطيع أن نفرق بين هؤلاء وأولئك من الناس ، إلا بعد ان يسدل الستار على الفصل الأخير من المأساة ، ويبدوا أننا سنظل هكذا ، إلى ما يشاء الاله ، وقد كتب للنفوس النبيلة أن تبقى ضحايا هذه الصعوبة في التفريق ، حتى تنتهي القصة ،

بقية الصفحة ١٩٥

تتزاد الامواج فيه فلا ترى في الجري غير تماوج الارداف
يجري فتصدعه النسائم صدفة فتثاره صدع من الاصداف
ملأن ان ركد النسيم تخاله جمدت مجاريه ، وجف الطافي
وكأن دجلة شعلة وهاجة سالت اشعتها على الاجراف

* * *

وللشرقي فوق ذلك انتفاضات اجتماعية وشعبية ، لا يقل فيها عن فلسفته ووصفه ومن تلك الانتفاضات قصيدته الرائعة « منجل الفلاح » ومجموعة كبيرة من رباعياته ، اكتفي منها بنشر رباعية واحدة تصور الغبن الفاحش بين هذه الطبقات المتفاوتة ، في الرزق والجاه ، تفاوت العدم والوجود ، والموت والحياة ،

الذا قرص شعير ودم القلب أدام
ولنا مائدة حفت بالوان الطعام !!
قل لمن قد قال في الد نيا اصول ونظام
لفق القول وعنو نه : على العقل السلام

كما ان له خطرات اخرى متفرقة ، في الدين ورجاله ، والحجاب واثره على سلوك المرأة ، والحكومة العراقية ، ومدى شرعيتها وتمثيلها للشعب ، وكل هذه الخطرات تدل على تفهم عميق للحياة ، ورغبة في التحرر من قيودها القاسية الموضوعة ، ارجي الحديث عنها الى العدد القادم

محمد حسين المحتصر

او تنطفئ النار ، وآنئذ ، تعرف الاخضر من اليابس ، ساعة لا تجدينا معرفة !

مالي أطيل في أمر ليس يعنينا منه الان شيء ! أريد أن بشيء آخر ، من أجله كتبت هذا الكتاب ، ولكن يخطر ببالي أمر جديد ، أنك مررت بالامس مرآ رفيقاً على قصائدي وقد شئت أن لا تنتهي منها إلا مستغربة مني ، هذه الاغنيات تنطلق من أعماقي ، إلى المرأة ، كأن لاشيء سواها يشغل بالي

لا . . انك نسيت أنها الحنين العميق الى الحنان الخالد . الى غدي المنتظر تضعين أنت له أسساً واضع له أسساً اخرى لم تقع عليها هيكل الغد . . إنك نسيت أن هذا المجتمع لا يكتب له الخير إلا بمقدار ما يتعاون الرجل مع المرأة في بناء عنصرهم من عناصره ؟ : مالي أطيل في موضوع ليس يخصني منه الآن شيء ! لم أكن ابتغي أن أقول هذا ، أردت أن أقول شيئاً ، فاقبلت على ذهني اشياء ! انه التردد . والحياء ، ينسيانني ما أريد ، ويذكر انني بمالا أبتغيه .

لا . . سأنقض عني التردد ، وأضع الحياء الفارغ جانباً ، لأبوح اليك بهذا الهوى :

هوى أحمله لك لأنك أخت وفية مخلصة و . تشاركيني ما أهوى من فن ! وهذا الهوى يحق لي أن احمله نحوك ارضيت أم أبيت ، وأحمل هذا الهوى نحو كثير من الاصدقاء والصديقات ! أوه . . لم أشأ أن أبوح اليك بهذا النوع من الحب . بل بهذا الهوى الذي لا أحمله نحو اكثر من قلب واحد . وقد وجدت قلبي مطمئناً إلى قلبك الحاني وقد لا يكون من حقي — في رأيي — أن أحمل هذا الحب نحوك إن ابيت علي ذلك ، اما الهوى الاول فسأحمله الى الأبد لك ، راضية كنت أم غير راضية : ولغيرك من الاوفياء . . لأنه من حقي !

فهل تأذنين لي أن اعبر عما ليس من حقي التعبير عنه الا باذنك ؟ ! وبعد هذا احذري أن يكره قلبك على هذا الهوى فليس أدعى إلى الشقاء ، من هذا الحب الذي يدخل القلوب إكراها : فلا يجد فيها قراراً وطمأنينة .

اخوك

الرسالة الثانية :

ماتركت الحوادث في نفسي أثراً ينزف بالألم والأسى ، كما ترك كتابك وأحاديثك في نفسي ، فما شعرت اني تألمت لنفسي يوما ما أكثر مما شعرت بألمها وعذابها الآن . لأني مهما حاولت أن أبتعد عن الاساءة للناس حتى وإن جاءت منهم لا مني ، حلت رغماً عني وتركت في من الألم أضعاف ماتتركه فيهم ، فأنا أعيش على آلام نفسي وآلام الناس في فكيف إذن سيكون ألمي لأخ وتجدت فيه مالم يكن في غيره ، وجدت النبل ، والايمان بهذا النبل ايماناً لا يتمسك به إلا ذوو الفضيلة ووجدت فيه ما يجعلني فخورة به كأخ وصديق .

لكم حاولت أن أتبعد عما يجعلك تحس معرفتي بك بالألم ، فما كنت راغبة في أن اهيء هذا الجو واجعله وابعث فيه من عطر السعادة لتحلق به ، ولكن تحليق النسر الجريح حين يطير ويتعالى ، وفي كل خفقة جناح ورفة قدم ألم وعذاب . ولكني كنت أعود فأقول : ان هذا الذي ارى ماهو إلا تقدير للشعر واعجاب بالشاعر .

كلانا متألم — ايها الاخ — ولكن اتدري مقدار ألمك ومقدار المي ؟ ! ان ألمك هو ألم نفس تريد شيئاً وتسعى اليه ولكنها تخشى أن يخيب المسعى ويموت الرجاء . واذا ما خاب هذا الأمل توجهت إلى ناحية اخرى لتخلق لها فيها املا آخر . اما المي ؟ ! انه الم نفسي وما يتصل بها والم نفسك والم الذين يتألمون في فلا استطيع ان اعمل لهم شيئاً سوى ان ارثي لهم سراً

وأنا أعيش على أوهام الأمل ، وأنت تعيش على الامل نفسه ، ومن كان أمله وهما فكيف تريده ان لا يكون قطعة من شقاء وروحا ليس فيها موضع لجرح آخر . . فهي تنضح بالدم المسفوك وترف بخلجات جروحها ، فلا هذه تندمل ولا تلك تسلو عن بعض مما بها ، فعذابها دائما متصل الزمن أولا باخر لا ينتهي إلا من حيث يبتدي ، ولا يبتدي إلا من حيث ينتهي ، ومع هذا كله فهي أبداً صابرة صاغرة !

ووالله كم تمنيت - ايها الأخ - ان يكرهني الناس أجمع ويسخط علي الكون كله ، فان المي لهذا الكره لهو جزء من المي لحبهم لي ، كالقطرة من ماء البحر فان فيها من ملوحته مايعادلها ، وفيه من الملوحة مايعادله وان كان كل منهما مالحاً ولكن يقال : ان البحر عظيمة ملوحته ، وان القطرة قليلة الملوحة فمرارة الألم في نفسي لحب الناس لهي هذا البحر العظيم ، ومرارة الالم ببغضهم لهي هذه القطرة الصغيرة . . فواها لنفس لاترى العالم الا من وراء هذا الستار الكثيف من العذاب ، ولا ترزح بسعادتها مثلما ترزح تحت أعباء هذا العذاب الذي يرهقها ويضنيها .

لقد خلقت في الحياة مرتين ، مرة حين قال الله كوني ، فكنت ، ومرة حين قالت لي نفسي كوني فكنت . . وخلق الانسان نفسه بنفسه لهو من اصعب الأمور وأقساها فانها تظل أبداً في حالة تكوين وخلق ، وفي هذا الخلق والتكوين الف لوم ، والف ألم ولوعة ، فحين كنت لا أومن بالحب وصدقه ونبله في قلوب الناس اصبحت مؤمنة به في اثنين :

انسان غمرني بكل حبه وفضله وتهذيبه ، وانت حيث غمرتني بامخائك ونبلك وودك ، فجعلتكما معا في مكانة من نفسي عظيمة ، وليس هنالك من فرق بينكما الا فرق واحد وهو اني مقيدة ومجبرة على ان افيه حق فضله واني لازال مرتبطة بهذا العهد حتى يحين الوقت الذي تهان به نفسي فتنسى فحينذاك لااتوانى من ان اسكت الصوت المنبعث من اعماق لأني خلقت عزيزة النفس اضع كرامتي فوق كل شيء في الحياة . . واسمح لي بهذا الحديث ان كان فيه شيء يسبب ايلامك ، ولكني اقول لك : من يدرينا بما يخبئه لنا القدر في الغد . . فأمر المرء ليس بيديه ، بل بيد المقادير والظروف

اليس من صفات النبل ان يحتفظ بما يقر نبله ويدل عليه واليس من واجبك نحو انسان عزيز يناى ولكنه يضع بين يديك قلبه ويضع فيك ثقته وايمانه فلا يطلب منك الا الولاء . . اقول اليس من واجبك آنذاك ان لاتعبث بثقته وايمانه وان لاتنكر عهده ؟

ويل نفسي من الشعراء ! . فاني حين ارضيهم يطلبون المزيد وحين اغضبهم واولهم يتهمونني بالجحود والنكران ، وويلي من نفس ترى في الشعراء انبياء علي ان احترمهم واقدرهم جميعا وان كنت اتبع دين احدهم :

اعود لحديث نفسك في كتابك ، فانت تقول « ومن يدري . فلعل هاته العواطف والمشاعر لاتنال إهمالك فقط بل تسخطين علي »

والله لقد نالت مشاعر الناس وعواطفهم كل إهمالي وسخطي ، ولهذا قلما تجد من لايقول عني انني مغرورة متكبرة . ولكن لم تنل مشاعرك وعواطفك إلا كل تقديري واعتزازي لها ، فان بدا لك مني مايشبه الاهمال ، فذلك لأني كنت أجتهد في أن أجعلك تغيرها كي لاتتألم بها ، وكما قلت لك اني لا أريد ان أخلق لك ألماً مصدره أنا ، بل أريدك دائما هانيء النفس ، مرتاح القلب ، لايسوؤك مني مايسوء غيرك ، وكم حاولت وكم جاهدت ولكن — مع شدة الاسف — خابت محاولاتي وجهودي

وبعد هذا كله . . أتراني أذنبت في حقك وماأذنبت ؟ يقال حسب الانسان سعادة ان هنالك في الحياة من يذكره فحسبنا اذن الذكرى ، أفلا تقنع معي بان ذكر المرء انساناً آخر لهو الدليل على انه يحمل له في نفسه أجل الأثر . . وأكبر التقدير ؟! وأن مما يجعلني مؤمنة بأنك تستطيع أن تنسى مثل هذه الحادثة ، هو أنك استطعت ان تنسى غيرها من قبل . . اليس كذلك ؟ !

وان ايمانك بطريقة التجربة في الحصول على ماترمي اليه ، وما تسعى لتحقيقه لما يزيدني سروراً في أنك ستدع هذه التجربة الأخرى ! ولي في ختام حديثي كلمة أطلب منك ان تتمسك بها . أن دع الحياة تسير والقدر يقص قصص حياتنا ولاتفكر في ذلك . بل فكر بأن لك أملا يملأ قلبك . وان ليس على الله بصعب إن يحقق آمالك وأمانيك . . فهل ستكون كذلك ؟ !

أختك

« طبق الاصل »

كربلاء — صالح جواد الطعمة